The planning of Iraqi cities, Baghdad and Wasit, as mentioned in the articles of the Orientalist Maximilian Sturk in the Encyclopedia of Islam

تخطيط المدن العراقية بغداد وواسط الواردة في مقالات المستشرق ماكسميليان شتريك في دائرة المعارف الإسلامية

م.د. هاشم نواف نائل

Dr. Hashem Nawaf Nael

وزارة التربية/ مديرية تربية بغداد الكرخ الأولى

hnwaf738@gmail.com

المستخلص

لقد أخذت الدراسات الاستشراقية على عاتقها – بتنوع غاياتها ومقاصدها – مهمة دراسة المدينة العربية الاسلامية.

ولا يمكن للباحث المنصف أن ينكر فضل الدراسات الاستشراقية وجهودها من الناحية العلمية.

عملي في هذا البحث هو جمع ما كتبه المستشرق شتريك عن المدن العراقية (بغداد، واسط) في دائرة المعارف الاسلامية، ومناقشة الحقائق التاريخية التي ذكروها، والتعريف بالمدن والشخصيات التي وردت في الدراسة.

ولقد اتفق المستشرق شتريك أحيانا مع المؤرخين في ذكر الخطط والأحداث التاريخية التي وردت في كتاباته، واختلف معهم أحيانا أخرى.

الكلمات المفتاحية: المستشرقون، شتريك، بغداد، واسط، المدن العر اقية.

Abstract

Orientalist studies, with their diverse aims and objectives, have taken upon themselves the task of studying the Arab-Islamic city.

No fair researcher can deny the merits and scholarly efforts of Orientalist studies.

My task in this research is to compile what the Orientalist Streik wrote about Iraqi cities (Baghdad, Wasit) in the Encyclopedia of Islam, discuss the historical facts they mentioned, and identify the cities and figures mentioned in the study.

The Orientalist Streik sometimes agreed with historians in their mention of the plans and historical events mentioned in his writings, and at other times he disagreed with them.

Keywords: Orientalists, Streik, Baghdad, Wasit, Iraqi cities.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن المعلومة الخططية للمدن تصبح أكثر صدقية عندما يجد الباحث ما يسندها من أثر يحاكي ما توصل إليه، وان اندراس معالم المدن العراقية التي ندرسها ترك فراغا كبيرا في دراستها، جعلنا نرجع إلى دراسات المؤرخين المعاصرين لبناء هذه المدن، ثم نقولات المؤرخين الآخرين والمستشرقين وتحليلاتهم، والتي توصلنا إلى الحقيقة – نوعا ما – في تخطيط المدن.

تميزت كتابات المستشرقين بالعلمية والإقناع والاستدلال من النصوص بعضها على البعض الآخر.

ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة، إذ تجمع ما كتبه المستشرقون عن مدننا في العراق، ودراستها وتحليلها.

قسمت الدراسة الى مقدمة ومبحثين وخاتمة ذكرت فيها أبرز ما توصلت اليه.

جاء المبحث الاول بعنوان مدينة بغداد في كتابات المستشرق شتريك M. Streck، وفيه: أولاً: المستشرق شتريك M. Streck تعريفه، ثانياً: بغداد (العراق)، ثالثاً: واسط.

أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان موارد المستشرق شتريك في كتاباته عن تخطيط المدن العراقية، وفيه: أولاً: موارده في مقالته عن مدينة بغداد، ثانياً: موارده في مقالته عن مدينة واسط.

المبحث الأول

مدينة بغداد في كتابات المستشرق شتريك M. Streck

أولاً: المستشرق شتريك M. Streck

ورد اسمه بعدة صيغ وهو ماكسميليان سترك أو شترك او شتريك، ألماني الجنسية[1].

آثاره: كتاب أرض بابل القديمة في كتب الجغرافيين العرب، في جزءين (ليدن، 1900- 1901)، وكتاب اللغة العربية (المجلة الشرقية الألمانية، 1907)، وكتاب كربلاء (تكريم زاخاو، 1915)[2]، وكتاب خطط بغداد وانهار العراق القديمة (المجمع العلمي العراقي، 1986)[3].

1() العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، ط3، (القاهرة، د.ت)، ج2، ص734.

2() العقيقي، المستشرقون، ج2، ص734؛ مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين، (د.م، د.ت)، ص733.

3() شتريك، ماكسميليان، خطط بغداد وانهار العراق القديمة– دراسة خططية تاريخية-، ترجمة: د. خالد اسماعيل علي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد، 1406هـ/ 1986م)، العنوان والمقدمة.

ويبدو أن كتابه الأخير (خطط بغداد وانهار العراق القديمة) هو تكملة وتطوير لكتابه الأول (أرض بابل القديمة في كتب الجغرافيين العرب)، حيث يقول شتريك في مقدمة كتابه (خطط بغداد وانهار العراق القديمة): خصصت كلية الآداب بجامعة ليبزك للسنة 1896/ 1897م جائزة للموضوع الآتي: (المطلوب وضع فهرس دقيق واضح لأسماء المواضع في بابل القديمة، استناداً الى الجغرافيين العرب الأوائل)، وقد حظيت دراستي لهذا الموضوع بالجائزة الكاملة في تشرين الأول سنة 1897م، وقد عكفت في السنتين التاليتين جزئيا على دراسة مجددة منظمة للمعلومات الغنية، فوسعت بهذا نطاق عملي الأول على أسس أشمل ... ولكن لكي لا يتأخر صدور هذا الكتاب كثيرا فقد اقتصرت على دراسة الجغرافيين دراسة مستفيضة[1].

ثانياً: بغداد (العراق)

كما وصفها المستشرق ماكسميليان شتريك M. Streck في دائرة المعارف الإسلامية[2].

"بَغْداد": "حاضرة العراق (بابل)[3] في الوقت الحاضر، وقد كانت فيما مضى قصبة العباسيين الزاهرة وعاصمة العالم الإسلامي، وهي الآن أعظم البلاد شأنًا في الولاية المعروفة بالاسم نفسه والتي كان يحكمها باشا[4] فيما سلف، ويخترقها دجلة[5]، وهي على خط عرض ْ39 َ19 شمالا وخط طول ْ44 َ44 شرقي كرينوتش"[6].

تاريخها: "اسم بغداد -ونطقه الشائع الآن "بُغداد"- فارسي من غير شك، ومعناه عطية الله أو هبته، وقد روى في العصور الوسطى بصيغ مختلفة، منها بَغْدان وهي أكثرها ذيوعًا M. Streck: Babyylonien؛ ج1، ص49 De

---

1() شتريك، خطط بغداد وانهار العراق القديمة– دراسة خططية تاريخية، المقدمة ص5.

2() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للابداع الفكري، (الشارقة، 1418هـ/ 1998م)، ج1، ص1704.

3() شتريك سمّى بغداد بـ بابل، لأن مملكة بابل سابقا تشمل الأراضي التي بنيت فيها مدينة بغداد فيما بعد.

وبابِلُ: بكسر الباء: اسم ناحية منها الكوفة والحلّة، ينسب إليها السحر، قال الأخفش: لا ينصرف لتأنيثه، وقال المفسرون في قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹچ{سورة البقرة: من الآية ١٠٢}، قيل بابل العراق، وقيل: الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمن الأول، اتصلت مساكنهم بدجلة والفرات، وموضعهم هو الذي يقال له السواد، وكانت ملوكهم تنزل بابل، وكان الكلدانيون جنودهم؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، ط2، (بيروت، 1995م)، ج1، ص309-311.

4() باشا (مفرد): جمعه باشَوات: لقب تشريف رسميّ تركيّ الأصل استعمل في تركيا وبعض البلاد التي خضعت لها، ومازال متداولاً في بعض البلاد بصفة غير رسميّة؛ مختار، أحمد بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، (القاهرة، 1429هـ/ 2008م)، ج1، ص154.

5() (دجلة): النهر العظيم المشهور الذي يشقّ بغداد، مخرجها من عين تسمّى عين دجلة، وتنحدر دجلة حتى توافي الجبال المعروفة بجبال الجزيرة فينصب إليها نهر عظيم، ثم تستقيم على حالها إلى بلد الموصل، ثم يوافي الزاب الأعظم، يعترضها الزاب الأسفل، فيصبّ فيه فوق تكريت، ثم يأتي تكريت وسامرّا، ويشقّ بغداد في وسطها إلى المدائن ثم إلى واسط فيشقّها في وسطها، ثم يصبّ في البطائح؛ ابن شمائل القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي صفيّ الدين (ت 739هـ)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، دار الجيل، (بيروت، 1412هـ)، ج2، ص515.

6() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1704.

Geoje المجلة الأسيوية، السلسلة العاشرة، ج3، سنة 1904 م، ص 159). وكان الناس يفضلون دائما هذا الاسم الجاهلي "بغداد"[1] أما الاسم الذي أطلقه المنصور على المدينة التي أنشأها وهو "مدينة السلام"[2] أو "دار السلام"[3] فقد انحصر استعماله في الشؤون الرسمية بصفة عامة، ومن ثم ضربت السكة به، وقد أخذ منه اللفظ اليوناني إيرونومولس، وتضاربت أقوال كتاب العرب تضاربًا كبيرًا في أصل هذا الاسم الأخير ومعناه، ولعل المنصور تفاءل به فاختاره لحاضرة ملكه"[4].

"ومن المؤكد أن دار السلام فيها إشارة إلى الجنة، لأننا نجد بعد ذلك أن بغداد أصبحت أحد المواضع الأربعة التي أطلق عليها المسلمون جنة الأرض، وهذه المواضع هي الأبلّة وغوطة دمشق ووادي بَوّان ببلاد فارس وبغداد، ومهما يكن من شيء فإن الفرس قد فهموا مدينة السلام أو دار السلام على هذا المعنى، وشاهد ذلك أنهم نقلوه إلى لغتهم فقالوا "بهشت آباذ" أي موضع الجنة، أو الجنة العامرة إذا شئت التدقيق. وهم يستعملون هذه التسمية في الشعر غالبا كما يفعل الأتراك الذين نقلوها عنهم. وتنسب بغداد أحيانا إلى مُنشئها فيقال "المنصورية"، ولها اسم آخر يشوبه الإبهام هو "الزَوْراء"[5] ولعله صيغة عربية لكلمة إيرانية قديمة أكسبها خضوعها للصور

1() لقد توهم شتريك بهذه العبارة (وكان الناس يفضلون دائما هذا الاسم الجاهلي بغداد)، لأن الخطيب البغدادي يذكر أن العرب كانت تكره هذا الاسم، والسبب: إنما سميت بغداد بالفرس؛ لأنه أهدي لكسرى خصي من المشرق، فأقطعه بغداد، وكان لهم صنم يعبدونه بالمشرق، يقال له: البغ، فقال: بغ داد، يقول: أعطاني الصنم، والفقهاء يكرهون هذا الاسم من أجل هذا، وكان الأصمعي لا يقول بغداد، وينهى عن ذالك، ويقول: مدينة السلام؛ لأنه سمع في الحديث أن بغ صنم وداد عطيته بالفارسية، كأنها عطية الصنم، والبعض يسميه بغداذ وبغدان ومغدان لهذا السبب؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت 463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1422هـ/ 2002م)، ج1، ص364-368.

2() قال الخطيب البغدادي: إن بغداد سميت حين سُكنت مدينة السلام، فليس في الأرض مدينة على هذا الاسم غيرها، وكان بعض إخواننا إذا ذكرها يقرأ قول الله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ{سورة سبأ: من الآية ١٥}، وسماها أبو جعفر مدينة السلام؛ لأن دجلة كان يقال لها: وادي السلام؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص354 و ص364.

3() ذكر ياقوت الحموي سبب تسمية بغداد بدار السلام قائلاً: ودار السلام: الجنة، ولعلّ بغداد سميت بذلك على التشبيه أو التفاؤل لأن الجنّة دار السلامة الدائمة، كما يذكر النويري سببين آخرين لتسمية مدينة بغداد بدار السلام؛ الأول: أن نهر دجلة يسمى السلامة وبه سميت بغداد دار السلام، والثاني السلام على الخلفاء فيها، وهناك رأي رابع هو أن اسم دار السلام فيه إشارة الى الآية القرآنية الكريمة: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ{سورة الأنعام: الآية 127} وهذا من التفاؤل بدار السلام التي في الآية وهي الجنة؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص421 و ج3، ص233؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون العرب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ، ج1، ص268؛ الراوي، طه، بغداد مدينة السلام، مؤسسة هنداوي، (القاهرة، 2014م)، ص8.

4() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1704.

5() الزَّوَرُ: المَيَلُ، والازورار عن الشيء: العدول عنه، وقد ازور عنه ازورارا بمعنى: عدل عنه وانحرف، قال تعالى: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ{سورة الكهف: من الآية ١٧}، أي تميل عن كهفهم، وسميت بغداد بالزوراء لأن أبوابها ليس كل واحد تجاه الآخر، ولكن كل باب أزور عن الذي يليه، ولهذا سميت بغداد الزوراء، لازورار أبوابها بعضها عن بعض، وقيل سميت بذلك لانحراف دجلة عندها، وقيل لازورار قبلتها؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي ثم الدمشقي (ت 774هـ)، البداية

القياسية الشائعة معنى جديدًا Baghdad: Le Strange. ص11، Babylonien: Streck، ج1، ص50؛ Salmon، تاريخ الخطيب البغدادي، ص94؛ Die Ab-: P. Schwarz basiden-Residenz Samarra ليبسك 1909، ص38 وما بعدها" [1].

"وكثيرًا ما خلط الرحالة الأوربيون في القرون الوسطى بين بغداد وبابل كما خلطوا في بعض الأحيان بينها وبين سلوقية[2] وطيسفون[3]، فقد وردت بغداد في مؤلفاتهم باسم بابل Babel وبابَلونيا Babellonia وغيرهما من الأسماء المشابهة؛ وإطلاق هذه التسمية الأخيرة على بغداد شائع في التفاسير التلمودية[4] لشيوخ العشائر البابلية في العصر العباسي وفي مصنفات اليهود المتأخرين، وكان بترو دلا فاله Pietro della Valle الذي عاش في بغداد بين عامي 1616 و 1617 م أول من دحض هذا الخطأ الذي فشا في عهده. وكان الغربيون إلى القرن السابع عشر الميلادي يعرفون بغداد بالصيغة المحرفة بلدخ Baldach أو بلدتشو Baldacco" [5].

"ومن المحقق أنه كانت هناك محلة منذ عهد سحيق في المكان الذي أصبح بعدُ مقر الخلافة، فقد وجد كل من رولنسون H. Rawlinson عام 1848 م وأوبيرت J. Oppert عام 1853 وبونيون وهاربر Pognon- Harper عام 1889 م قطعًا من الآجر نقش عليها اسم بختنصر الثاني[6] مأخوذة من محجر لا يزال جزء منه باقيا إلى اليوم

والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، 1408هـ/ 1988م)، ج10، ص103؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن على الإفريقي (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط3، (بيروت، 1414هـ)، ج4، ص334-335.

1() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1705.

2() سَلُوقِيَةُ: حصن بساحل أنطاكية، وعمل سلوقية من ناحية بحر الشام ويتولاها عامل الدروب وفيه من المدن سلفكية وهي سلوقية وعشرة حصون، وأن الوليد بن عبد الملك أقطع جند أنطاكية أرض سلوقية عند الساحل، وجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقية، ولعلّ السيوف السلوقية والكلاب السلوقية منسوبة إليها؛ الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت 560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، (بيروت، 1409هـ)، ج2، ص804؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص242؛ ابن شمائل القطيعي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج2، ص732.

3() طَيْسَفُونُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وسين مهملة، وفاء، وآخره نون: هي مدينة كسرى التي فيها الإيوان، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص55؛ ابن شمائل القطيعي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج2، ص901.

4() التلمود أحد أهم الكتب الدينية وأقدسها عند اليهود، وهو النتاج الأساسي للشريعة الشفوية، أي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة)، ويعد اليهود التلمود مقدسا وان كلام علمائه كان يوحي به الروح القدس، على اساس ان الشريعة الشفاهية مساوية في المنزلة للشريعة المكتوبة، وهو عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتأملات الغيبية والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعية، كما يتضمن فصولا في الزراعة وفلاحة البساتين والصناعة والمهن والتجارة والربا والضرائب وقوانين الملكية والرق والميراث وأسرار الأعداد والفلك والتنجيم والقصص الشعبي، وكان أول تدوين فعلي للتراث الديني اليهودي في القرن الخامس قبل الميلاد على يد عزرا الكاتب الذي يعده اليهود أحد أنبيائهم؛ ايبش، أحمد، التلمود كتاب اليهود المقدس، تقديم: د. سهيل زكار، دار قتيبة، (دمشق، 2006م)، ص25-26.

5() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1706.

6() نبوخذ نصر أو بختنصر أو بخترشاه: ملك بابل (حكم من 605- 562 ق.م)، ابن نبوبلاصر، هزم في عهد أبيه الجيوش المصرية (605 ق.م)، أخمد ثورة قام بها اليهود في أرض يهوذا، وعندما أعادوا الكرة لم يخمد الثورة فحسب بل ساق ملكهم وكبراءهم أسرى

على الضفة الغربية لدجلة (H.Rawlinson في Encycl. Britan، مادة بغداد، المجلد الثاني، ص 234، عمود 1؛ Herodotus: G. Rawlinson، لندن 1852، جـ 1، ص 513؛ Exped.: J. oppert Scientif، جـ 1، ص 92؛ The: Harper Academy 1880، رقم 877، ص 139). وهناك بقايا بناء يشبه هذا المحجر أسفل المدينة الحالية بالقرب من قناة الجِرَ"[1].

"وليس لدينا حتى اليوم دليل يؤيد الزعم القائل بأن بغداد رسمت في النقوش المسمارية بصيغة "بكدادو" لأننا إذا أخذنا بهذا أصبح في مقدورنا أن نقرأ "حُدَ دو" بدلا من "كُدُرّو" وهو الاسم المشكوك فيه لمكان ظهر لأول مرة على حجر من معالم الحدود للملك البابلى "مردخ بلادان" الأول الذي حكم من عام 1194 إلى 1182 ق م :Scheil Deleg. en Perse , ج6، 1905، ص31 وما بعدها؛ Mitt. der Vorderas: Streck Ges، ج11، ص 227) زد على هذا أنه ليس من المعقول أن اسما لا شك في إيرانيته يرجع إلى مثل هذا العهد السحيق، كما أن ما ذهب إليه ليتمان Littmann من أن هذا الاسم ورد في نقوش ثمود[2] مشكوك فيه (Euting، رقم 565، Mitt.der Vorderas Gas: Littmann، ج4، ص 28)، ونجد من جهة أخرى أنه من المقطوع به أن هناك إشارتين في التلمود إلى بغداد في العصر الجاهلى، فقد وردت فيه بصيغة، (انظر Beitr. z. Geogr. u.: Berliner .Ethnogr. Baby loniens im Talmud u Midrasch، برلين سنة 1883، ص 25) ويمكن الرجوع إلى بحث بلوشيه - Blo chet فيما يختص باحتمال ورود بغداد في نص بهلوي باسم بكداد Bolchet في Recueil de Travaux جـ 17، ص 170"[3].

"ووضعت مدينة "ثلثى" في موقع بغداد بمصور بطلميوس (بطلميوس، جـ 6، ص 1) كما أن مدينة ستاكى التي وردت بمصنف أكسينفون (Anabasis، 4، 13) كانت مجاورة لموقع بغداد (انظر R. Kieperl في Formae orbis antipul جـ 5 عام 1910، ص 6)، ومن الخطأ أن نقول إن إسكي بغداد التي فوق سامراء هي أصل مدينة بغداد الحالية، استنادًا إلى أن كلمة إسكي معناها بالتركية قديم، وإن كانت هذه التسمية لم تنشأ إلا منذ عهد قريب،

الى بابل، وهذا هو الحادث الذي يعرف في تاريخ اليهودية بالأسر البابلي، ازدهرت الامبراطورية البابلية في عهده وبلغت الذروة؛ مجموعة علماء، الموسوعة العربية، بلا.ط، دمشق، 2008م، مج20، ص453؛ مولا، علي، الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية (بيروت، 2010م)، ج7، ص3357.

1() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1707.

2() ثمود: هم قوم نبي الله صالح عليه السلام، وهم الذين عقروا الناقة، وقد ذكرهم القرآن الكريم بقوله: چڭ ۇ ۆ ۆۈ ۇ ۆ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی چ{سورة الأعراف: الآية ٧٣}، كانت منازل ثمود بالحجر، وبيوتهم إلى وقتنا هذا مبنيّة منحوتة في الجبال ورممهم باقية وآثارهم بادية، وهي بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي على طريق الحاجّ من الشام، وهي في ناحية تبوك، ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا هذا، وهذا يدلّ على أنّ أجسامهم كانت كأجسامنا لا كأجسام عاد الأولى، وأوّل ملوكهم عابر بن إرم بن سام، وثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وكانت أعمارهم تطول فيبنون كلّ بناء فينهدم فاتّخذوا من الجبال بيوتا فرهين؛ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت 487هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، 1992م)، ج1، ص97.

3() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1704.

فقد جرت العادة بأن تسمى الأطلال باسم المدينة الشهيرة التي تجاورها، وشاهد ذلك قولنا إسكي موصل، ويطلق اسم بغداد على مكان آخر فقط في المشرق هو تل بغداد في الجنوب الشرقي من الرها أسفل خط عرض 37 شمالا) Reise in Syr.: Sachau u. Mesop، ص 216"[1].

"وأجمع كتاب العرب على أن المنصور لم يشيد مدينته في إقليم خلو من السكان، وذكروا بيانا كاملًا بأسماء محلات جاهلية أخذت تندمج تدريجًا في الأماكن التي شملتها العاصمة العباسية فيما بعد، وكانت بغداد أهم هذه الأماكن، وهي قرية نصرانية من أعمال بادوريا[2] على الضفة اليسرى لدجلة، ويلوح أنها كانت تشمل المدينة المدوّرة التي بناها المنصور، كما أنها أضحت نواة لحاضرة العباسيين الجديدة، بل إن بغداد قد أخذت اسمها الشائع منها، ويجب أن نبحث عن معظم المحلات القديمة التي كان جل سكانها من النصارى الآراميين في النصف الجنوبي الذي أصبح فيما بعد الجانب الغربي للمدينة التي على الضفة الغربية لدجلة، في نطاق الحى الكبير الذي به السوق الكبيرة، أي في الكرخ وما جاور الكرخ شرقا وغربا، وفي هذا الإقليم قرى أصلها ساسانى نذكر منها ما يلي: بيَاورَى أو بَناوري ويال وشَرْوانية؛ وسونايا (وقد أصبح اسمها فيما بعدَ "العَتيقة")؛ ووَرْدانية؛ وورْثال أو ورْثالا"[3].

"وأخذت مدينة الكرخ اسمها من قرية قديمة سابقة لها في العهد أسسها الملك الساسانى سابور الثاني الذي حكم من عام 309 إلى 379 م، وكلمة الكرخ تقابل في الآرامية كلمة كرخا ومعناها مدينة، وكانت "بَراثا"[4] التي على مسافة من الشمال الغربي للكرخ بليدة قائمة بذاتها قبل عهد العباسيين، ولكن الجانب الغربي من بغداد اتسع بمرور الزمن فاحتضنها، وكانت قريتا الخطابية والشَرفانيّة موجودتين في النصف الشمالي من هذا الجانب قبل أن يحل عهد المنصور، وقد عرف هذا النصف فيما بعد بحي الحربية"[5].

"ويقول أكسينفون إن الإكميئيين كانوا يملكون حدائق فسيحة في إقليم بغداد عند ستّاكه Sittake ، وهذا القول ينطبق أيضًا على ملوك الفرس المتأخرين، وأنشئت عمائر في حديقتين من هذه الحدائق الساسانية فكونتا حيين هما دار عمارة بن حمزة وبستان القَسّ، وابتنى الساسانيون بالقرب من مصب نهر عيسى قصرًا أطلق عليه فيما

1() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1708.

2() بادُورَيَا: بالواو، والراء، وياء، وألف: طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد، وهو اليوم محسوب من كورة نهر عيسى بن علي، منها: النّحّاسيّة والحارثية ونهر أرما وفي طرفه بني بعض بغداد؛ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد 292هـ)، البلدان، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1422هـ)، ص15؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص317؛ ابن شمائل القطيعي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج1، ص149.

3() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1708.

4() (براثا): بالثاء المثلثة، والقصر: محلّة كانت في طرف بغداد، في قبليّ الكرخ، وكانت براثا قبل بناء بغداد قرية يزعمون أن عليّا مرّ بها لما خرج لقتال الحرورية بالنهروان وصلى في موضع من الجامع المذكور؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص363؛ ابن شمائل القطيعي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج1، ص174.

5() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1708.

بعد اسم "قصر عيسى"، وأقيم في عهدهم قنطرة وصلت هذه البقعة بالضفة الشرقية لدجلة، وفي هذا المكان أقيم فيما بعد جسر من القوارب وصل بين قصر الخلفاء وقصر عيسى، وكان هناك جسر آخر مشيد في الجاهلية فوق قناة الصراة في الجنوب الغربي من الكوفة، ويعرف هذا الجسر بالقنطرة العتيقة، ولا يوجد من الأماكن التي في شرقي دجلة ما يرجع عهده إلى ما قبل العباسيين سوى سوق الثلاثاء عدى نهر المُعَلَّى ومحدة المُخَرم، وهي أول محلة سكنت في عهد عمر بن الخطاب، وليست هناك صلة بين سوق الثلاثاء وثالثا المذكورة في بطلميوس (جـ5، ص 19)، لأن ثلثى لا ثالثا هو الموضع الذي يتفق وموقع بغداد في مصور بطلميوس، ويؤكد كتاب العرب أيضًا أن المكان الذي أصبح فيما بعد مقبرة الخيزرانية كان قبل عهد المنصور مقبرة للمجوس، ولا شك في أن معظم أديرة النصارى التي ازدهرت في بغداد إبان العهد الساساني قد شيد في الجاهلية، ولدينا من الشواهد الأصلية ما يفيد أن قصر الخلفاء المعروف بالخلد على الضفة الغربية لدجلة شيد مكان دير قديم، وأن مكانا من الأمكنة التي عند ملتقى الصراة بدجلة قد أنشئ لمثل هذا الغرض، كما نستدل من الاسم الذي أطلق عليه في عصور متأخرة وهو "الدير العتيق"، ولم يكن لمحلة من هذه المحلات القديمة الكائنة في الموقع الذي قامت عليه بغداد فيما بعد أي شأن من الناحيتين السياسية والتجارية. ولذلك فإننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن المدينة التي ابتناها المنصور ثاني خلفاء العباسيين كانت مؤسسة جديدة بمعنى الكلمة"[1].

"وجرت العادة في المشرق أن يعقب تغير الأسرة الحاكمة انتقال مقر الحكم، وقد كان من المتعين على العباسيين بصفة خاصة أن يتخلوا عن دمشق قصبة أسلافهم التي ظلت على ولائها للأمويين، لأن هذه المدينة كانت قريبة من حدود الروم كما كان مركزها القاصي ناحية الغرب لا يلائم دولة تمتد أراضيها من البحر الأبيض المتوسط إلى نهر السند، ومن السهولة بمكان أن نتوقع أن تنقل الأسرة الحاكمة الجديدة مقر ملكها من الشام، وهو إقليم فقير ضئيل الشأن، إلى العراق الغنى بموارده الطبيعية، زد على هذا أن إقليم العراق قدر له أن يكون حلقة الاتصال بين العالم السامي[2] والعالم الإيراني فأصبح بذلك واسطة العقد بين العنصرين الرئيسيينَ اللذين

1() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1709.

2() لاحظ المعنيون بلغات (الشرق الأدنى) وجود أوجه شبه ظاهرة بين البابلية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والأرامية والعربية واللهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية وأمثالها؛ فهي تشترك أو تتقارب في أمور أصلية وأساسية من جوهر اللغة، وذلك في مثل جذور الأفعال، وأصول التصريف، تصريف الأفعال، وفي زمنيّ الفعل الرئيسيين، وهما: التام والناقص، أو الماضي والمستقبل، وفي أصول المفردات والضمائر والأسماء الدالة على القرابة الدموية والأعداد، وبعض أسماء أعضاء الجسم الرئيسيَّة، وفي تغير الحركات في وسط الكلمات الذي يحدث تغيّرًا في المعنى، وفي التعابير التي تدل على منظمات الدولة والمجتمع والدين، وفي أمور مشابهة أخرى، فقالوا بوجوب وجود وحدة مشتركة كانت تجمع شمل هذه الشعوب، وأطلقوا على ذلك الأصل، (الجنس السامي)، أو (السامية) وعلى اللغات التي تكلمت وتتكلم بها هذه الشعوب (اللغات السامية)، وقد أخذ من أطلق هذه التسمية من التوراة، أخذها من اسم (سام بن نوح) العهد القديم: سفر التكوين، 1 : 52، جدّ هذه الشعوب الأكبر، كما هو وارد فيها، وأول من أطلقها وأذاعها بين العلماء عَلَمًا على هذه الشعوب، عالم نمساوي اسمه (أوغست لودويك شلوتسر) أطلقها عام (1781م) فشاعت

تألفت منهما الجماعة الإسلامية، ومما يجدر ذكره أيضًا أنه فضلا عن أن جل قوة العباسيين كانت في فارس لاعتمادهم على جند خراسان، فإنه لا شك في أنه كانت لهم مصلحة خاصة في نقل حاضرتهم ناحية المشرق، وما إن قاموا بتأسيسها حتى غدت ذات خطر في السياسة والثقافة"[1].

"وإنا لنجد أيضًا أن السفاح أول خلفاء بنى العباس قد اتخذ مقره على ضفتي الفرات فلم يختر البصرة أو الكوفة، وهما المدينتان الكبيرتان اللتان كانتا موجودتين منذ الفتح الإسلامي الأول للعراق، وبديهي أن هذا لم يأت عفوًا، فقد كان أهل الكوفة نزاعين إلى الشغب هواهم مع العلويين، أما البصرة فكانت لا تصلح حاضرة للدولة بالنسبة لموقعها في الجنوب، وكذلك فضل السفاح الهاشمية بالقرب من الأنبار، وشيد خلفه المنصور مقرًا له بهذا الاسم على مقربة من الكوفة ولكنه سرعان ما تخلى عنه لأنه كان مجاور، للكوفة البغيضة إلى نفسه لتعصبها للعلويين، وبحث المنصور عن مكان جديد يصلح مقرًا لحكمه وجنده، واختار آخر الأمر بقعة على دجلة فوق مصب نهر عيسى، وهو أكبر قناة هن قنوات الفرات، وكان في هذه البقعة كما سبق أن بينا قرية تعرف ببغداد وعدة محلات صغيرة أخرى"[2].

"ويجدر بنا أن نعترف بأنه قد تحقق الطالع الذي أنبأ الخليفة بحسن هذا الموقع وصلوحه لتشييد حاضرته الجديدة[3]، والحق أن الخليفة لم يكن أمامه أطيب منه، لأن الأرض الخصبة التي تمتد بين دجلة والفرات عند اقتراب أحدهما من الآخر حيث تصل بينهما قنوات صالحة في بعض أجزائها للملاحة فتألف من هذا كله مجموعة مائية منظمة، وحيث يصب ديالى[4] في دجلة فيكون ممرا طبيعيا يمكن بواسطته الوصول إلى الهضاب الإيرانية المرتفعة، هذه الأرض كانت على الدوام موطنا للحضارة ومهدًا للثقافة الشرقية القديمة ومركزًا للتجارة وملتقى عدة طرق تصل بين مختلف الأمم، فقد تعاقبت في هذه البقعة الحواضر العظيمة مثل بابل وسلوقية

منذ ذلك الحين، وأصبحت عند العلماء والباحثين في موضوع لغات الشرق الأدنى عَلَمًا للمجموعة المذكورة من الشعوب؛ د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، (بيروت، 1422هـ/ 2001م)، ج1، ص222-223.

1() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1710.

2() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1710.

3() يروي الخطيب البغدادي عن بعض المنجمين، قال: قال لي المنصور لما فرغ من مدينة السلام: خذ الطالع، فنظرت في طالعها وكان المشتري في القوس، فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا إليها، وفقر الناس إلي ما فيها، ثم قلت له: وأبشرك يا أمير المؤمنين أكرمك الله بخلة أخرى من دلائل النجوم: لا يموت فيها خليفة من الخلفاء أبدا، فرأيته تبسم لذلك، ثم قال: الحمد الله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم؛ تاريخ بغداد، ج1، ص376.

4() دَيَالى: بفتح أوله، وإمالة اللام: نهر كبير بقرب بغداد، وهو نهر بعقوبا الأعظم يجري في جنبها، وهو الحدّ بين طريق خراسان والخالص، وهو نهر تامرّا بعينه؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص495.

وطيسفون، وورثت مدينة الخلفاء الجديدة هذه الحواضر، وكانت على مسيرة يوم (سبعة فراسخ أو حوالي أربعين كيلو مترًا) من طيسفون العاصمة التي سبقتها في الزمن مباشرة"[1].

"والحق أن امتداد البطائح[2] في المجرى الأسفل للفرات جنوبي بابل وصعوبة الاتصال الملاحي المتزايدة بالخليج الفارسي يفسر لنا لماذا كان موقع العاصمة منذ العهد السلوُقي يختار دائمًا على نهر دجلة"[3].

"وضع المنصور أول حجر في بناء عاصمته الجديدة عام 145هـ (762 م) وجمع العمال من بابل وغيرها، ويقال أن عددهم بلغ مائة ألف، فأتموا في أربع سنوات انشاء مدينة عظيمة على الشاطئ الغربي لدجلة وفق خطة تجعلها مدوّرة وبنى في وسطها قصر الخليفة المعروف بباب الذهب أو القبة الخضراء، والمسجد الجامع، وجلبت معظم الأحجار اللازمة للبناء من أطلال طيسفون المجاورة[4]، وقد نشأت المدينة بمعناها الحقيقي حول نواة مدورة ثم قسمت إلى أحياء منفصلة وسرعان ما اتسعت اتساعًا كبيرًا، ومن الواضح أن المنصور قد شعر سريعًا أنه منعزل في قصره لتزايد السكان من حوله، أو لعله لم يكن آمنا على نفسه، فشيد بعد بضع سنوات من بناء المدينة المدورة قصرًا آخر على دجلة خارج أسوار المدينة وإلى الشرق منها: هو قصر الخُلْد، ولا يعتبر المنصور مشيد الجانب الغربي من بغداد، أي المدينة التي على الضفة اليمنى لنهر دجلة فحسب، بل إنه يعتبر أيضًا مشيد القسم الشرقي الذي بنى بعد الأول، وفي عام 151هـ/ 768م، شيد عدة مبان في شمالي المدينة لولده وولى عهده المهدي، وأهم هذه المباني قصر الرصافة"[5].

"ولم يكن المنصور يقصد بحال أن ينشئ حاضرة الدولة في بغداد بل كان غرضه أول الأمر هو إقامة مدينة على مقربة من الكوفة يعسكر فيها جنوده الخراسانيون، ولذلك قسم الأراضي التي حولها إلى قطاعات وزعها بين

1() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1711.

2() البطيحة: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وبالحاء المهملة، وجمعها بطائح، وهو ماء مستنقع لا يرى طرفاه من سعته، ما بين واسط والبصرة، وهو مغيض دجلة والفرات، وكذلك مغايض ما بين البصرة والأهواز، يقال تبطّح السّيل إذا سال سيلا عريضا؛ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت 487هـ)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، ط3، (بيروت، 1403هـ)، ج1، ص259؛ ابن شمائل القطيعي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج1، ص206.

3() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1711.

4() الذي عليه المؤرخون أن جميع أحجار البناء عملت في نفس موضع بناء بغداد، وقد كان الإمام أبو حنيفة النعمان مسؤولا عن ضرب لبن المدينة (الطابوق) ويقوم بعده بالقصب، أما ما يذكره شتريك من أنهم نقلوا الحجارة من أطلال طيسفون، فهذا مخالف لما عليه المؤرخون، فقد ذكروا أن الخليفة ابا جعفر المنصور استشار خالد بن برمك في نقض الإيوان فقال: لا أرى ذلك لأنه من آثار الإسلام وفتوح العرب وفيه مصلى عليّ بن أبي طالب فاتهمه بمحبة العجم، وأمر بنقض القصر الأبيض فإذا الّذي ينفق في نقضه أكثر من ثمن الجديد فأقصر عنه، فقال خالد: لا أرى إقصارك عنه لئلا يقال عجزوا عن هدم ما بناه غيرهم، فأعرض عنه ولم يلتفت الى قوله؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص381؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ)، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، (بيروت، 1408هـ/ 1988م)، ج3، ص247.

5() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1712.

أقاربه ومواليه وقواد جيشه، وفعل مثل هذا عندما ابتنى الرصافة، وقد أورد اليعقوبي والخطيب البغدادي بيانًا بهذه الإقطاعات"[1].

"وينقسم تاريخ بغداد الذي يبدأ بالمنصور إلى عهدين عظيمين: الأول عهد بنى العباس الذي دام خمسمائة سنة، وكانت فيه بغداد - فيما خلا فترة تبلغ خمسة وخمسين عامًا- قصبة دولة إسلامية عظيمة شاسعة الأطراف، وغدت مركز الحياة العقلية وأهم مركز تجارى للشرق الأدنى، وكسفت شمسها حواضر الولايات في العالم الإسلامي بل إنها احتلت أرفع مكان في العالم المتمدن في ذلك العهد بفضل اتساعها وازدهارها وثروتها، أما العهد الثاني فيبدأ بسقوط الخلافة العباسية إلى وقتنا هذا، ولم تكن هذه المدينة في هذا العهد سوى حاضرة ولاية من الولايات، اللهم إلا فترات كانت خلالها المشتى المختار لبعض الإيلخانية[2]، وهكذا كانت حالها إبان الحكم التركي، فقد ظلت مدة طويلة عالية المكانة باعتبارها قصبة أكبر ولايات الترك وأهمها: كانت تعادل مصر أو تأتى بعدها، وتقلصت رقعة ولاية بغداد منذ ذلك الحين، وضعف لذلك سلطانها السياسي وانحصرت أهميتها شيئًا فشيئًا في الناحية التجارية، واستعادت في هذه الناحية الكثير من مجدها القديم وظلت محتفظة به إلى يومنا هذا، والحق إن تاريخ بغداد بأكمله في عهدها الأول هو في الواقع تاريخ بنى العباس، ولذلك فإنه يجدر بنا في هذا المقام أن نقتصر على فذلكة خاصة بتطور التاريخ المحلى لهذه المدينة بمعناه الضيق"[3].

"بلغت بغداد أزهى عصورها في القرن الذي أعقب وفاة المنصور، أو بوجه أدق في عهد خلفائه الخمسة من المهدي إلى وفاة المأمون، أي من عام 159 إلى 218هـ (775 - 833 م)، إذ كانت مساحة المدينة خمسة أميال مربعة أو ستة في الوقت الذي ارتقى المهدي فيه العرش، ولما نقل هذا الخليفة بلاطه إلى الرصافة، أي الحى القائم على الشاطئ الشرقي لدجلة، اتسع هذا القسم من المدينة سريعا، واستقرت هناك في الوقت نفسه الأسر الغنية وأتباعها من العبيد والموالي الذين يبلغون بضعة آلاف، وشيدت في هذا القسم قصور فخمة أجملها القصر الذي كان مسرحًا للهو والسرور وهو قصر أسرة البرامكة المشهورة ذات الحول والطول الذي انتقل إلى بيت الخلافة بسقوط هذه الأسرة الفجائي، وأصبح بذلك نواة المباني العظيمة التي كان يتألف منها قصر الخلفاء على الشاطئ الشرقي

1() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1712.

2() بعد وفاة هولاكو خان خلفه ابنه أباقا، وحصل من الخان في بكين على موافقة بحكم ما كان تحت سيطرة أبيه من قبل، فتأسست في ايران دولة جديدة عرفت باسم (الدولة الإيلخانية)، قامت هذه الدولة على أنقاض الدولة الخوارزمية والخلافة العباسية وبعض الدويلات الاسلامية، وإيلخان: كلمة تركية مركبة من مقطعين، هما إيل و خان، إيل بمعنى: تابع، وخان بمعنى حاكم وملك ورئيس عشيرة، وبذلك يكون معنى ايلخان، الملك التابع، أي حاكم احدى الولايات في الدولة ويتبع الخاقان (الخان الأعظم) الذي يحكم الدولة كلها، وقد اطلق هذا اللقب على بيت هولاكو ابتداء من اباقا عندما أسند اليهم حكم ايران، وحتى بعد استقلالها عن الدولة المغولية بقي اسمها الدولة الإيلخانية؛ فهمي، عبد السلام عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية في ايران، دار المعارف، (القاهرة، 1981م)، ص4-5.

3() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1713.

لدجلة، وفي بداية حكم الرشيد، ولعله أزهى عهود المدينة، أصبح القسم الشرقي ينافس في الاتساع القسم الغربي"[1].

"وبعد عامين من وفاة الرشيد اشتجر الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون، وحوصرت بغداد لأول مرة في تاريخها ودام هذا الحصار أربعة عشر شهرًا، وحوالى نهاية عام 196 هـ (812 م) أطبق جند هرثمة وطاهر، قائدي المأمون، على الأمين في بغداد وعزل هرثمة الجانب الشرقي الذي لم يكن يحميه سوى سور سرعان ما أزاله، بينما عسكر طاهر أمام باب الأنبار فسيطر بذلك على الجانب الغربي، وحدثت مناوشات بين جنود الأخوين المتقاتلين، ودب الشجار بين جنود الحامية والسكان اليائسين، وامتلأ زمن الحصار بالدسائس والغدر على اختلاف أنواعه ورزح الجانب الغربي تحت المجانيق، وتخرب الجزء الأكبر من نصفها الشمالي المعروف بالحربية"[2].

"ووجد الخليفة نفسه آخر الأمر منعزلا في قصر الخلد على شاطئ دجلة، وما لبث أن وقع في الأسر وهو يحاول الفرار، وقتل في أوائل عام 198 هـ (813 م) وبموته رفع الحصار وأصبحت بغداد المزدهرة خرائب ورمادًا لأول مرة في تاريخها، فقد دمرت النيران أحياء بأكملها وأتت على سجلات الدولة كلها، ولم ينتعش الجانب الغربي الذي كان أكثر تعرضا للنيران من سواه بل أنه لم يعد إلى ما كان عليه من اتساع، والطبري هو المصدر الذي ينبغي الرجوع إليه في أخبار الحصار الأول لاستفاضة روايته ولما أورده في وصف المدينة من التفاصيل الدقيقة القيمة، أضف إلى ذلك أن ما ذكره الطبري هو أقدم ما وصل إلينا في هذا الموضوع (الطبري، ج3، ص864- 925؛ Gesch. der Chalifen: Weil ص190 وما بعدها؛ Mueller: Der Islam ج1، ص501 وما بعدها؛ Baghdad: Le Strange , ص303، 306، وما بعدها) "[3].

"وأثار موت الأمين سخط أهل بغداد، وتمكن إبراهيم بن المهدي العباسي بفضل الخلاف بين الناس الذي اتخذ صورة الشغب من أن يستولى على بغداد ويصبح صاحب الأمر فيها ما يقرب من عامين، غير أن خيانة قواده أجبرته على تسليم المدينة وزمام الحكم إلى الخليفة المأمون، وقد ألحق الحصار الذي حدث في عهد الأمين ضررًا جسيما بقصرى الخليفة، وهما قصر الذهب في سرة مدينة المنصور المدورة وقصر الخلد على دجلة، فنقل المأمون مقر الحكم إلى الجانب الشرقي من المدينة، واستولى على قصر البرامكة السابق ذكره وبسط في رقعته، وفي عهد خلفه المعتصم الذي حكم من عام 218 إلى عام 227 هـ (833 - 842 م) قدر لبغداد أن تنزل عن مركزها الممتاز باعتبارها حاضرة الدولة إلى بليدة ضئيلة الشأن هي سامراء على مسيرة ثلاثة أيام من منبع النهر، وذلك لمدة خمس وخمسين سنة. فتحولت سامراء في طرفة عين إلى مقر فخم للخلافة، والسبب المباشر لنقل مقر الخلافة إلى هذه المدينة عام 221 هـ (836 م) هو أن أهل بغداد أسخطتهم قسوة الجند الخليط من الترك والبربر

1() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1713.

2() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1714.

3() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1714.

الذين غدوا في عهد المعتصم جيشا عدته حوالي سبعين ألف مقاتل، لأن الاحتفاظ بمثل هذه الحامية الكبيرة في حاضرة الدولة أمر محفوف بالصعاب، ويلوح أن حرمان بغداد من بلاط الخليفة وعمال الدولة لم يحل بينها وبين التقدم؛ وكانت هذه النقلة تشعر بأنها لحست الحظ موقوته لا يرجى استمرارها طويلا، وكان يحكم بغداد خلال هذه الفترة عمال معظمهم هن أسرة بنى طاهر القوية النفوذ"[1].

"وفي هذه الفترة التي تعرف بالعصر السامرائي في تاريخ الخلافة حدث الحصار الثاني لبغداد الذي شغل من عام 251 هـ (865 م) تقريبًا، وأخذ استبداد العمال في سامراء يشتد شيئًا فشيئًا، وكان الترك يقتتلون فيما بينهم، ففر المستعين إلى بغداد في القسم الأصغر من جنده، أما القسم الأكبر من الجنود الترك فقد بقى في سامراء وبايعوا المعتز ابن عم المستعين بالخلافة، ولم يجد المستعين فسحة من الوقت يتم فيها السور حول الجانب الشرقي بأسره والجانب الغربي من بغداد، إذ فاجأه المعتز على رأس جيش وبدأ يحاصر الحاضرة القديمة"[2].

"وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المحاصرون في الدفاع عن أنفسهم خوفًا من عودة الحكم التركي الباطش واستماتتهم في الدفاع، فإن المستعين بضعفه وتردده اضطر إلى التسليم آخر الأمر بشروط مهينة، وتنازل عن كل حق له في الحلافة، وبينما قضى الحصار الأول الذي حدث في عهد الأمين على ادهار الجانب الغربي من بغداد إلى الأبد فإن الحصار الثاني الذي حدث في عهد المستعين أصاب الجانب الشرقي بأضرار جسيمة، وتخربت أهم أحيائه كالرصافة والشماسية والمخرم وأعيد بناء أجزاء منها فقط بعد ذلك (انظر أخبار هذا الحصار الثاني في الطبري، جـ 3، ص 1553 - 1578، weil: كتابه المذكور جـ 2، ص 385 وما بعدها، Mueller: كتابه المذكور جـ 1، ص 528، Le Strange كتابه المذكور، ص 311 وما بعدها)، وظلت الأمور بعد الحصار على اضطرابها وسادت القلاقل وأعمال الشغب في الأعوام 249 هـ (863 م) و 253 هـ (867 م) و 255 هـ (869 م) بنوع خاص. (Weil: كتابه المذكور، ج2، ص381 وما بعدها، ص402 وما بعدها ص 412) "[3].

"وأخذ مركز الخليفة في سامراء يتحرج شيئًا فشيئًا لأنه كان في الواقع تحت رحمة القواد من مرتزقة الترك، ولذلك فإن المعتمد سابع الخلفاء بعد المعتصم هجر قصر الخلافة عام 279 هـ (892 م)، وهو القصر الذي اختاره سلفه المعتصم وجعل بغداد حاضرة الدولة للمرة الثانية، ولم يكن يزعجها الترك والبربر الذين كان يحزم أمرهم أخوه الموفق: وظلت حاضرة للدولة لا تنازعها في ذلك مدينة اخرى حتى سقطت دولة بنى العباس. وبين رجوع الخلفاء إلى الحاضرة القديمة ودخول أمراء بنى بويه خمسون عامًا امتازت بامتداد قصر الخليفة امتداد، عظيما في الجانب الشرقي، وأظهر الخلفاء الثلاثة الذين تولوا بعد المعتمد -وهم المعتضد والمكتفي والمقتدر- نشاطًا فائقًا في هذا السبيل، وشيدت في العهد نفسه عدة قصور وحدائق شغلت نحو ثلث مساحة الجانب الشرقي بأسره،

1() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1715.

2() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1715.

3() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1715.

وكانت تفصلها أسوار عن بقية المدينة، وسرعان ما انشأت أحياء جديدة مكتظة بالسكان حول الحى الفسيح الذي يشغله قصر الخليفة"[1].

"وساد السلام بغداد في عهدي الخليفتين الحازمين المعتضد والمكتفي، إذ أن الجند من الأتراك لم يجسروا على رفع رؤوسهم في هذه الحقبة، ولكن ما إن مات المكتفي حتى أخذت سلطة الخلفاء في التدهور السريع، وازدادت القلاقل على مر الأيام في العاصمة وبخاصة فتن الجند المصحوبة بالحرائق وأعمال السلب والشغب مما أدى إلى اضمحلالها السريع"[2].

ثالثاً: واسط[3]

كما وصفها المستشرق ماكسميليان شتريك M. Streck في دائرة المعارف الإسلامية[4].

"تقع في وسط العراق وكانت في فترة من الفترات من أهم مراكزه، وقد أنشأها الحجاج بن يوسف الثقفي[5] سنة 83 هـ/ 702 م أو 84 هـ/ 703 م على خلاف بين المؤلفين العرب، وربما كان ياقوت الحموي على حق في قوله إن إنشاءها استغرق عدة أعوام من 83 إلى 86 للهجرة (702 - 705م) ومن المؤكد أن الحجاج أقام في مدينته الجديدة هذه قبل عام 84 هـ، وكان دافع الحجاج لإنشائها هو أن يجعلها معسكرا ثابتا ودائما لكتائب العسكر الشوام الذين كان يعتبرهم أفضل عسكره - لرفع روحهم المعنوية وليعزلهم عن العسكر العراقيين تجنبا للصدام بينهما،

1() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1716.

2() مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص1716.

3() واسِطٌ: سميت واسط لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخا، فلما عمّر الحجاج مدينته سمّاها باسمها، شرع الحجاج في عمارة واسط في سنة 84هـ وفرغ منها في سنة 86هـ، فكان عمارتها في عامين في العام الذي مات فيه عبد الملك بن مروان، ولما فرغ منها كتب إلى عبد الملك: إني اتخذت مدينة في كرش من الأرض بين الجبل والمصرين وسمّيتها واسطا، فلذلك سمّي أهل واسط الكرشيّين، وقال الأصمعي: وجّه الحجاج الأطبّاء ليختاروا له موضعا حتى يبني فيه مدينة فذهبوا يطلبون ما بين عين التمر إلى البحر وجوّلوا العراق ورجعوا وقالوا: ما أصبنا مكانا أوفق من موضعك هذا في خفوف الريح وأنف البرّيّة، فبنى فيها مدينته؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص347.

كرش من الأرض: الكرش: من نبات الرياض والقيعان من أنجع المراتع للمال تسمن عليه الإبل والخيل، ينبت في الشتاء وهيج في الصيف، والكرش والكرشة من عشب الربيع وهي نبتة لاصقة بالأرض، ولا تكاد تنبت إلا في السهل؛ ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص341.

4() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10102.

5() الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، أمير العراق (ت 95هـ)، ولد سنة (40هـ) أو (41هـ)، روى عن: ابن عباس، وسمرة بن جندب، وأسماء بنت الصديق، وابن عمر، ولي إمرة الحجاز، ثم ولي العراق عشرين سنة، بنى الحجاج مدينة واسط، وفرغ من بنائها سنة (78هـ)، وقيل: بنيت (83هـ)، سميت بذلك لأنها وسط ما بين الكوفة والبصرة؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ)، تاريخ الاسلام، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، (بيروت، 1405هـ/ 1985م)، ج2، ص775 و ص1071.

كما كانت مركز القوات في واسط تهدف إلى كبح جماح التمرد العسكري- في حالة حدوثه في كل من الكوفة والبصرة" "انظر في هذا:

mUller: Der Islam in Morgan und Abend lande. Berlin, 1885 - 1887, 1, 394

Welhausen: Das Arahische Reich und sein Sturz. Berlin. 1902. P. 156

وثمة هدف ثالث لإنشاء واسط وهو السيطرة على المناطق البعيدة نسبيا"[1].

"والروايات المتواترة تفيد أن الحجاج هو نفسه الذى أطلق اسم واسط على هذه المدينة لوقوعها بين الكوفة والبصرة، ولأن المسافة بينها وبين الأهواز (الأحواز) عاصمة خوزستان لا تبعد كثيرا عن المسافة بينها وبين الكوفة أو البصرة، لكن هناك روايات أخرى تؤكد أنه كانت توجد بالفعل قرية اسمها واسط القصب [2] في الموقع نفسه الذى اختاره الحجاج لمدينته الجديدة"[3].

"وفى الشرق الإسلامي -خاصة حيث يسود استخدام الأسماء العربية- نجد أكثر من عشرين مدينة وقرية تحول الاسم نفسه (واسط) [4] زمن العباسيين، إلا أن أهمها جميعا هي واسط التي أنشأها الحجاج بن يوسف الثقفي لذا فهي تسمى أحيانا واسط العظمى أو واسط العراق تمييزا لها عن المدن التي تحمل الاسم نفسه، وقد تم تشييد واسط على الشاطئ الغربي لدجلة، وكان ثمة مدينة مأهولة بالسكان في الفترة الساسانية بالقرب من الموقع الذى أسست فيه واسط فيما بعد، وكانت هذه المدينة الساسانية -واسمها كسكر[5]- تقع على الشاطئ الشرقي للنهر، وقد تكلف إنشاء واسط مبالغ طائلة[6] وتم إنشاء قصر للحجاج كانت تعلوه قبة خضراء، وقد حذا الخليفة المنصور العباسي -فيما بعد- حذو قصر القبة الخضراء هذا عندما شيد قصره في بغداد بل وسمّى قصره بالاسم

1() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10102.

2() واسط القصب: قرية كانت قبل عمارة واسط في موضعها، فلما عمّر الحجاج مدينته سمّاها باسمها؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص347 و ص353.

3() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10102.

4() ذكر ياقوت الحموي خمسة عشر موضعا يسمى واسط عدا واسط مدينة الحجاج، فقد افتح كلامه عن التعريف بواسط قوله: واسِطٌ: في عدة مواضع: نبدأ أولا بواسط الحجاج لأنه أعظمها وأشهرها ثم نتبعها الباقي؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص347-353.

5() كسكر: معناه عامل الزرع: كورة واسعة، وقصبتها (عاصمتها) اليوم واسط القصبة التي بين الكوفة والبصرة، وكانت قصبتها قبل أن يمصّر الحجاج واسطا خسرو سابور، ويقال إن حدّ كورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقي النهروان إلى أن تصبّ دجلة في البحر كله من كسكر فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها، ولم يكن بفارس كورة أهلها أقوى من كورتين كورة سهلية وكورة جبلية، أما السهلية فكسكر وأما الجبلية فأصبهان، وكان خراج كل واحدة منهما اثني عشر ألف ألف مثقال؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص461.

6() أنفق الحجاج على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص349.

نفسه (قصر القبة الخضراء)، وأسس الحجاج إلى جوار قصره مسجدا جامعا، وفعل الخليفة العباسي آنف الذكر -فيما بعد- الفعل نفسه" [1].

"ولا بد أن نذكر أنه من بين المباني التي أنشأها الحجاج في واسط ذلك السجن الكبير الذى أطلق عليه سجن الديماس Dimas والكلمة يونانية وتعنى السجن، وقد مات الحجاج في سنة 95 هـ/ 714 م بواسط ودفن بها، وفى بداية الأمر لم يكن الحجاج يسمح إلا للعرب بسكنى مدينته الجديدة هذه، وكان يفضل الشوام بطبيعة الحال، لكنه بعد ذلك وطّن فيها أتراك ما وراء النهر، خاصة الذين ترجع أصولهم إلى بخارا الذين كانوا يقيمون في البصرة، وبعد وفاة الحجاج سُمح للسكان الآراميين من أهل البلاد وللفرس بالقدوم لواسط والاستقرار بها، وبمرور الوقت اختلطت الأعراق المختلفة، وأصبحت واسط العربية وكسكر - بالتدريج مدينة واحدة ربطت بينها المصالح السياسية والاقتصادية" [2].

"وطوال عهد الدولة الأموية كانت واسط هي أهم مدن العراق وبها مقر الوالي وحكومته إلا أن الأمر اختلف في السنوات الأخيرة من الحكم الأموي فلما سيطر العباسيون انتهى العصر الذهبي لواسط كمركز للحكم لكنها لم تفقد أهميتها بسبب موقعها الاستراتيجي الخطير، فقد ظلت تلعب دورا مهما في التاريخ السياسي والعسكري للعراق الأوسط والجنوبي خاصة بالنسبة لمنطقتي البطيحة وميسان، ولقد لعبت واسط في القرن الخامس عشر للميلاد دورا مهما بسبب نشاط أسرة المشعشع، لكن المدينة بدأت في الانهيار تدريجيا بعد هذا القرن (الخامس عشر) نتيجة تغيير توزيع المياه بين ذراعي النهر عند انشعاب دجلة القديم عند منطقة كوت العمارة، وقد أشار الجغرافي التركي حاجى خليفة الذى عاش في النصف الأول من القرن السابع عشر للميلاد في كتابه جيهان نوما أن واسط كانت تقع على أيامه في وسط منطقة صحراوية وأنها كانت مشهورة بالأقلام المصنوعة من البوص الذى كان ينمو على ضفاف قناة هناك" [3].

"أما عن سكان واسط فقد كان عددهم كبيرا في فترة ازدهارها، فياقوت الحموي الذى تردد على واسط أكثر من مرة في القرن الثالث عشر الميلادي يذكر لنا أنها حتى هذه القرن كانت مدينة عامرة بالسكان، وكان ملاك الأراضي الفرس (الدهامية) حتى أيام ياقوت يعيشون في مدينة كسكر القديمة وقد ظل النصارى يشغلون الأماكن نفسها التي كانوا يشغلونها في كسكر أثناء الحقبة الساسانية ولم يتم إبعادهم في العصور الإسلامية، وقبل الفتح الإسلامي للعراق شهدت المنطقة مستقرات يهودية وقد شاهد الرحالة اليهودي بنيامين الذى زار بابل حوالى سنة

1() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10103.

2() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10103.

3() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10104.

1170 م مجتمعا يهوديا قدره بحوالي 10.000 يهودي كانوا يعيشون في حي خاص بهم، وكذلك كان هناك يهود في البصرة فيما يقول هذا الرحالة نفسه"[1].

"ويقال إن المنطقة التي أسست فيها واسط لم تكن خصبة قبل إنشاء المدينة فقد عمل الحجاج على تحسين التربة وتحسين ظروف البيئة ومن ثم فقد كان يُنظر لمناخ واسط كمناخ طيب وأكثر فائدة للصحة من مناخ البصرة، فبفضل جهود الحجاج أصبحت واسط مدينة عامرة بالبساتين والنخيل وكانت تمد المناطق المجاورة بالقمح، وقد تعرض لازدهار المدينة في مراحل مختلفة عدد كبير من الجغرافيين المسلمين كالاصطخري وابن حوقل والمقدسي وياقوت والقزويني وابن بطوطة"[2].

"وكانت واسط أيضا مركزا مهما للمواصلات وهذا عائد في جانب منه لموقعها على دجلة ولموقعها وسط العراق ولمرور طرق مهمة عبرها خاصة الطرق التي تؤدى للشمال والجنوب والشرق، فثمة طريق من واسط إلى بغداد، وطريق من واسط مارا بالبطيحة إلى البصرة، وطريق إلى الأهواز (خوزستان) ومن هنا كانت واسط -فيما يقول المقدسي- مركزا تجاريا مهما، إذ كان بها سوق عامر بالبضائع، كانٍ من بينها المنسوجات التي كانت تصنَّع في واسط كما لعبت صناع بناء السفن دورا مهما في نشاط أهل واسط ولازال العراقيون يطلقون لفظ الواسطي على نوع من القوارب، واحتلت واسط مكان كسكر القديمة كمركز لاثني عشر قسما وكان الساسانيون قد حددوا هذه التقسيمات (الأقسام) بغرض جمع الضرائب"[3].

"وكانت واسط على أيام المقدسي مركزا مهما لقراء القرآن الكريم والفقهاء وأشار ابن بطوطة الذى كان في واسط في النصف الأول من القرن الرابع عشر بتقوى سكانها وإتقانهم حفظ القرآن الكريم كما كانوا يدرسون علم التجويد بحماسة فائقة ويُعد إسماعيل بن على الواسطي المتوفى حوالى 1291 م من أشهر مجودي القرآن الكريم وقد قضى الحلاج الصوفي المشهور والمولود في فارس شبابه في واسط كما أن أبا حاتم القرمطي ظهر أول ما ظهر في سواد واسط سنة 295 هـ/ 908 م"[4].

"وشهدت واسط نفسها كتابة تاريخها وتاريخ البطيحة الملحقة بها، فقد كتب إسلام بن سهل (توفى 904 م) تاريخا محليا يشتمل فى غالبه على تراجم، ويعتبر كتاب ابن المغازلي الجلابي (المتوفى 1239 م) استمرارا له وقام عبد الرحمن محمد بن سعيد الذهبي الدبيثي (توفى 1239 م) بإعداد ملحق لهذا الكتاب الأخير، وكتب ابن أبى العباس

1() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10104.

2() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10104.

3() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10105.

4() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10106.

أحمد بن بختيار (المتوفى 1157 م) وهو من أهل واسط تاريخا محليا للبطيحة، وعن تاريخ دار سك العملة في واسط فإن لدينا عملة تعود لتاريخ إنشاء المدينة حتى الفترة المغولية"[1].

"إلا أن موقع مدينة واسط لازال مجال نقاش ذلك أن تحديد موقعها بدقة يعد من أعقد المسائل كما أن من أهم القضايا التي شغل المؤلفون في مضمار الجغرافيا التاريخية في العصور الوسيطة أنفسهم بها، فنحن نعرف بشكل محدد أن واسط كسكر، وهى المدينة التوأم لواسط العظمى تقع على شاطئ دجلة المواجه لها، وكل الجغرافيين العرب من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر يوافقون على ذلك، فلابد إذن لتحديد موقع واسط العظمى أن نعرف مجرى نهر دجلة في العصور الوسطى، ولابد من الإشارة إلى أن فرع دجلة الذى كانت تقع عليه واسط قد بدأ يتضاءل تدريجيا منذ القرن الخامس عشر ليصبح فرعا ثانويا لأن كم المياه الضخم كان قد بدأ يتحول تدريجيا أدنى كوت العمارة إلى المجرى الشرقي فأصبح بالتالي -هو المجرى الأدنى الحقيقي لنهر دجلة، وعلى هذا فإن شط الحي (وهو شط الغرّاف) الذى يتفرع عند كوت العمارة إلى الجنوب الشرقي من المجرى الرئيسي هو - كما يقال عادة- كان هو المجرى الرئيسي لنهر دجلة في العصور الوسطى، وهو يتشعب مرة أخرى إلى الأدنى من كوت الحي إلى فرعين أحدهما يطلق عليه الآن أبى جهيرات وهو الفرع العامر بالمياه، وثانيها وهو الذى يقع ناحية الشرق يسمى شط الأعمى، ويتحد الفرعان مرة أخرى عند قرية الشيخ خضر (بفتح الخاء) أو خضير (بكسر الخاء) ويكون بينهما جزيرة يبلغ طولها ثلاثين ميلا تسمى -على الخرائط- جزيرة الهيرات، ويقول الباحث هرز فلد Herz feld أن شط الحي تشكل مشكلة كبيرة في جغرافية العراق القديم فهل هو نهر دجلة الوسيط (في العصور الوسطى) حقا أم مجرد فرع ثانوي؟ ربما كان علينا أن ننظر إليه كقناة تم حفرها في العصور القديمة لربط دجلة بالفرات. والقليل الذي قدمه لنا الرحالة الأوروبيون عن بقايا (خرائب) واسط يناقض القول بأنها كانت تقع على شاطئ فرع شط الحي، وبالتالي تتناسى النظرية القائلة بأن شط الحي كان هو المجرى الرئيسي لدجلة في العصور الوسطى"[2].

"ولسوء الحظ فإن قناة شط الحي والنظام النهري للفرع الذي يحمل الاسم نفسه خاصة بالنسبة للمنطقة الواسعة بينه إلى الغرب ودجلة إلى الشرق والفرات إلى الجنوب لم تدرس بعد الدراسة الكافية من وجهة نظر جغرافية كما أن الخرائط التي روجعت عن واسط يعتريها قصور شديد وقد اعتمدنا على المراجع التالية لمناقشة هذا الموضوع":

F. R. Chesney: The expedition for the Sarvey of the riuers Euphrates and Tigris London, 1850. Arlas, Pl. no IX

Schau: Am Euphrat and Tigris (leipzih, 1900) Plate ll

1() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10106.

2() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10106.

Lowev: Mesopotameg between Bagdad and Persiam Gulf

. . إلخ[1].

"وزار عدد من الرحالة الأوروبيين الموقع الفعلي لواسط العصور الوسطى في القرنين التاسع عشر والعشرين، إلا أن تقاريرهم عنها كانت موجزة جدا، وأول الرحالة الذين قيل إنهم توقفوا في واسط الضابطين الإنجليزيين أورمسبي Ormbsby وإليوت Elliot الذين زاراها سنة 1831 م، ويقال إن كولديج R. Koldeweg وموريتس B. Moriz قد زارا واسط أثناء عملهما في بعثة أثرية جنوب بابل 1886 - 1887 م لكنهما لم ينشرا شيئا عن ملاحظتهما هناك. كما زارها الكونت إيمار دى ليدكيرك Aymar de Liedkerke - Beaufort الذي مات بعد ذلك أثناء الحرب سنة 1916 - وذلك ضمن بعثة أثرية في الفترة من 1913 م إلى 1914 م ونشر بحثه القيم في باريس سنة 1922 م، ومما يؤسف له أنه لم يضمن بحثه خريطة"[2].

ومن كتابات هؤلاء الرحالة نخلص بالآتي:

- "المجرى القديم الجاف لفرع النهر يمكن تتبعه لعدة أميال قليلة إلى الأدنى من كوت العمارة، وهو يجرى جنوب الجنوب الشرقي عبر خرائب، واسط ثم يستمر في الاتجاه نفسه حاملا اسم شط إبراهيم ويتصل بالفرات بين شط الحي والقرنة، وعلى هذا فهذا المجرى كان هو دجلة الأصلي في العصور الوسطى وعلى شاطئه كانت تقع واسط، وذلك بسبب اتساع قاعه وكثرة الخرائب على جانبيه خاصة وأن هناك بقايا أثرية لمبان ذات قباب تتفق طرزها مع طراز البناء المقبب في الفترة الأموية والعباسية، ووفقا لتقديرات دي ليديكرك فإن واسط تقع إلى الغرب من كوت الحي بخمسة وعشرين ميلا، ولابد أن يكون تقديره خاطئا، أو أنه على أحسن الفروض سهو لأن واسط لابد أن تكون إلى الشرق من كوت الحي لا إلى الغرب منه، لقد استقر الرأي بين الباحثين إذن على أن واسط في العصور الوسطى كانت تقع على شط الحي أو على الأقل بالقرب منه"[3].

المبحث الثاني

موارد المستشرق شتريك في كتاباته عن تخطيط المدن العر اقية

لقد ذكر المستشرق شتريك جميع موارده التي أخذ منها معلوماته عن تخطيط المدن العراقية في مقالاته في دائرة المعارف الإسلامية وهي:

أولاً: موارده في مقالته عن مدينة بغداد:[4]

1. M. Streck: Babyylonien Die alte Landschaft:
2. De Geojeم1904 المجلة الأسيوية، السلسلة العاشرة، سنة

1() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10107.

2() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10107.

3() مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10108.

4() ينظر: مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص10704- 10716.

3. Baghdad during: G. le Strange the Abbasid Caliphate
4. Salmon: L'introduction topographique a I'histoire تاريخ الخطيب البغدادي، de Bahgdadh.
5. Die Ab-: P. Schwarz basiden-Residenz Samarra1909 ليبسك
6. H.Rawlinson في Encycl. Britan المجلد الثاني، مادة بغداد، ،
7. Herodotus: G. Rawlinson ،1852 لندن ،
8. Exped.: J. oppert Scientif
9. The: Harper Academy 1880877 رقم ،
10. Scheil: Deleg. en Perse
11. Mitt. der Vorderas: Streck Ges
12. Euting ،565 رقم ،Mitt.der Vorderas Gas: Littmann
13. Beitr. z. Geogr. u.: Berliner .Ethnogr. Baby loniens im Talmud u Midrasch1883 برلين سنة ،
14. Blo chet (فيما يختص باحتمال ورود بغداد في نص بهلوى باسم بكداد بحث بلوشيه - Bolchet في Recueil de Travaux
15. R. Kieperl في Formae orbis antipul1910 عام
16. Reise in Syr.: Sachau u. Mesop
17. الطبري
18. Gesch. der Chalifen: Weil
19. Mueller: Der Islam in Morgan und Abend lande. Berlin, 1885 - 1887

ثانياً: موارده في مقالته عن مدينة واسط:[1]

1. mUller: Der Islam in Morgan und Abend lande. Berlin, 1885 - 1887
2. Welhausen: Das Arahische Reich und sein Sturz. Berlin. 1902. P. 156
3. F. R. Chesney: The expedition for the Sarvey of the riuers Euphrates and Tigris London, 1850. Arlas, Pl. no IX
4. Schau: Am Euphrat and Tigris (leipzih, 1900) Plate ll
5. Lowev: Mesopotameg between Bagdad and Persiam Gulf

1() ينظر: مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص10102- 10108.

الخاتمة

1. شتريك سمّى بغداد بـ(بابل)، لأن مملكة بابل سابقا تشمل الأراضي التي بنيت فيها مدينة بغداد فيما بعد.
2. توهم شتريك بهذه العبارة "وكان الناس يفضلون دائما هذا الاسم الجاهلي بغداد"، فالخطيب البغدادي يذكر أن العرب كانت (تكره هذا الاسم).
3. ان بغداد سميت بعدة أسماء منها: الزوراء، مدينة السلام، دار السلام، مدينة المنصور، المدينة المدورة.
4. يتعجب الباحث كيف أن الخليفة العباسي وهو صاحب أعلى سلطة دينية وسياسية يؤمن بقراءة الطالع، وهو مما نهى عنه الشرع الحنيف، يروي الخطيب البغدادي عن بعض المنجمين، قال: قال لي المنصور لما فرغ من مدينة السلام: خذ الطالع، فنظرت في طالعها وكان المشتري في القوس، فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا إليها، وفقر الناس إلي ما فيها، ثم قلت له: وأبشرك يا أمير المؤمنين أكرمك الله بخلة أخرى من دلائل النجوم: لا يموت فيها خليفة من الخلفاء أبدا، فرأيته تبسم لذلك.
5. مرة أخرى يخطئ شتريك بقوله: "وجلبت معظم الأحجار اللازمة لبناء بغداد من أطلال طيسفون المجاورة"، والذي عليه المؤرخون أن جميع أحجار البناء عملت في نفس موضع بناء بغداد، وقد كان الإمام أبو حنيفة النعمان مسؤولا عن ضرب لبن المدينة (الطابوق) ويقوم بعده بالقصب، وقد ذكروا أن الخليفة ابا جعفر المنصور استشار خالد بن برمك في نقض الإيوان فقال: لا أرى ذلك لأنه من آثار الإسلام وفتوح العرب وفيه مصلى عليّ بن أبي طالب فاتهمه بمحبة العجم، وأمر بنقض القصر الأبيض فإذا الّذي ينفق في نقضه أكثر من ثمن الجديد فأقصر عنه.
6. سميت واسط بهذا الاسم لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخا.

المصادروالمراجع

- **القرآن الكريم**
- **العهد القديم (التوراة)**

أولاً: المصادر الأولية

1. الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت 560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، (بيروت، 1409هـ).
2. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت 487هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، 1992م).

3. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت 487هـ)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، ط3، (بيروت، 1403هـ).
4. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت 463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: د.بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1422هـ/ 2002م).
5. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ)، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، (بيروت، 1408هـ/ 1988م).
6. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ)، تاريخ الاسلام، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، (بيروت، 1405هـ/ 1985م).
7. ابن شمائل القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (ت 739هـ)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، دار الجيل، (بيروت، 1412هـ).
8. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، 1408هـ/ 1988م).
9. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط3، (بيروت، 1414هـ).
10. النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون العرب، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة، 1423هـ).
11. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، ط2، (بيروت، 1995م).
12. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد 292هـ)، البلدان، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1422هـ).

ثانياً: المراجع الثانوية

13. ايبش، أحمد، التلمود كتاب اليهود المقدس، تقديم: د. سهيل زكار، دار قتيبة، (دمشق، 2006م).
14. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، (بيروت، 1422هـ/ 2001م).
15. شتريك، ماكسميليان، خطط بغداد وانهار العراق القديمة– دراسة خططية تاريخية-، ترجمة:خالد اسماعيل علي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد، 1406هـ/ 1986م).
16. الراوي، طه، بغداد مدينة السلام، مؤسسة هنداوي، (القاهرة، 2014م).
17. العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، ط3، (القاهرة، د.ت).

18. فهمي، عبد السلام عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية في ايران، دار المعارف، (القاهرة، 1981م).

19. مجموعة باحثين، دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للابداع الفكري، (الشارقة، 1418هـ/ 1998م).

20. مجموعة علماء، الموسوعة العربية، بلا.د، (دمشق، 2008م).

21. مختار، أحمد بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، (القاهرة، 1429هـ/ 2008م).

22. مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين، (د.م، د.ت).

23. مولا، علي، الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية (بيروت، 2010م).

First: Primary Sources

1. Al-Idrisi, Muhammad ibn Muhammad ibn Abdullah ibn Idris al-Hasani al-Talibi (d. 560 AH), Nuzhat al-Mushtaq fi Ikhtiraq al-Afaq, Alam al-Kutub (Beirut, 1409 AH).

2. Al-Bakri, Abu Ubaid Abdullah ibn Abd al-Aziz ibn Muhammad al-Andalusi (d. 487 AH), al-Masalik wa al-Mamalik (Paths and Kingdoms), Dar al-Gharb al-Islami (Beirut, 1992).

3. Al-Bakri, Abu Ubaid Abdullah ibn Abd al-Aziz ibn Muhammad al-Andalusi (d. 487 AH), Mu'jam Ma Isti'jam min Asma' al-Bilad wa al-Mawadhi (Dictionary of Obscure Names of Countries and Places), Alam al-Kutub, 3rd ed. (Beirut, 1403 AH).

4. Al-Khatib al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad ibn Ali ibn Thabit ibn Ahmad (d. 463 AH), Tarikh Baghdad (Archive by Dr. Bashar Awad Marouf, Dar al-Gharb al-Islami (Beirut, 1422 AH/2002 AD).

5. Ibn Khaldun, Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Muhammad al-Hadrami al-Ishbili (d. 808 AH), The History of Ibn Khaldun (Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar fi Tarikh al-Arab wa al-Barbar wa Man 'Asarahum min Dhat al-Shan al-Akbar), edited by Khalil Shahada, Dar al-Fikr, 2nd ed., (Beirut, 1408 AH/1988 CE).

6. al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman ibn Qaymaz (d. 748 AH), History of Islam, edited by a group of researchers under the supervision of Sheikh Shu'ayb al-Arna'ut, Al-Risalah Foundation, 3rd ed., (Beirut, 1405 AH/1985 CE).

7. Ibn Shama'il al-Qat'i, Abd al-Mu'min ibn Abd al-Haqq al-Baghdadi al-Hanbali (d. 739 AH), Observatories of Insight into the Names of Places and Lands, Dar al-Jeel, (Beirut, 1412 AH). 8. Ibn Kathir, Abu al-Fida Ismail ibn Umar al-Dimashqi (d. 774 AH), The Beginning and the End, edited by Ali Shiri, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi (Beirut, 1408 AH/1988 CE).
9. Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram ibn Ali Abu al-Fadl Jamal al-Din al-Ansari al-Ruwaifi'i al-Ifriqi (d. 711 AH), Lisan al-Arab (The Arabic Language), Dar Sadir, 3rd ed. (Beirut, 1414 AH).
10. al-Nuwayri, Ahmad ibn Abd al-Wahhab ibn Muhammad ibn Abd al-Da'im al-Bakri (d. 733 AH), Nihayat al-Arab fi Funun al-Arab (The End of the Desires in the Arts of the Arabs), National Library and Archives (Cairo, 1423 AH).
11. Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut ibn Abdullah al-Rumi (d. 626 AH), Mu'jam al-Buldan (Dictionary of Countries), Dar Sadir, 2nd ed. (Beirut, 1995 CE).
12. Al-Ya'qubi, Ahmad ibn Ishaq ibn Ja'far ibn Wahb ibn Wadh (d. after 292 AH), Al-Buldan, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut, 1422 AH).

Second: Secondary References

13. Ibish, Ahmad, The Talmud: The Holy Book of the Jews, Introduction: Dr. Suhail Zakar, Dar Qutaiba, (Damascus, 2006 AD).
14. Jawad Ali, Al-Mufassal fi Tarikh Al-Arab Qabl Al-Islam, Dar Al-Saqi, 4th ed., (Beirut, 1422 AH/2001 AD).
15. Strick, Maximilian, Plans of Baghdad and the Rivers of Ancient Iraq - A Historical Planning Study, translated by Khalid Ismail Ali, Iraqi Scientific Academy Press, (Baghdad, 1406 AH/1986 AD).
16. Al-Rawi, Taha, Baghdad, City of Peace, Hindawi Foundation, (Cairo, 2014 AD).
17. Al-Aqeeqi, Najib, The Orientalists, Dar Al-Maaref, 3rd ed., (Cairo, n.d.).
18. Fahmy, Abd al-Salam Abd al-Aziz, The History of the Mongol State in Iran, Dar Al-Maaref, (Cairo, 1981).
19. A group of researchers, The Islamic Encyclopedia, Sharjah Center for Intellectual Creativity, (Sharjah, 1418 AH/1998 AD).

20. A group of scholars, The Arab Encyclopedia, n.d., (Damascus, 2008 AD).
21. Mukhtar, Ahmad, with the assistance of a working team, Dictionary of Contemporary Arabic, Alam al-Kutub, (Cairo, 1429 AH/2008 AD).
22. Murad, Yahya, Dictionary of Orientalist Names, (n.d., n.d.).
23. Mula, Ali, The Simplified Arabic Encyclopedia, Modern Library (Beirut, 2010).